قصة
سيدنا هود عليه السلام

العاصفة

(١) بعد نوح

بَارَكَ الله فِي ذُرِّيةِ نُوْحٍ فَانْتَشَرَتْ في الأَرْضِ .

وَكَانَ مِنْهَا أُمَّةٌ يُقَالُ لَهَا : عَادٌ .

وَكَانُوا رجالًا أَقْوِيَاءَ ، أَجْسَامُهُمْ مِنْ حَدِيدٍ يَغْلِبُونَ كَلَّ وَاحِدٍ وَلَا يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ .

وَبَارَكَ الله لِعَادٍ في كل شيءٍ ، فَكانت إِبلُ عاد وغنمها تملأ الوادي .

وَكَانَتْ خَيْلُ عَادٍ تَمْلأُ الميْدانَ .

وَكَانتْ أَوْلَادُ عَادٍ تَمْلأُ البُيُوتَ .

وإِذَا خَرَجَتْ إِبْلُ عَادٍ وَغَنَمُهَا إِلى المرعى كان لهم منظر جَمِيلٌ جدًا .

وإِذا خَرَجَ الأَطْفَالُ في الصَّبَاحِ يَلْعَبُونَ كان لَهُمْ منظر جميل جدًا .

وكانت أَرْضُ عَادٍ كذلِكَ أَرْضًا جَميلةً خَضْرَاءَ ، فيها بساتين وعُيُونٌ كثيرةٌ .

(٢) كفران عاد

ولكنَّ عَادًا لَمْ يَشْكُرُوا الله عَلى هذه النِّعَم الكثيرة ، ونَسِيَتْ عَادٌ قِصَّةَ الطُّوفَانِ الَّتي سَمِعُوها من آبَائِهِمْ وَرَأَوْا آثَارَهُ في الأرض .

وَنَسُوا لِمَاذَا أَرْسَلَ الله الطُّوْفَانَ عَلَى أُمَّةِ نُوْحٍ ، وَصَارُوا يَعْبُدُوْنَ الأَصْنَامَ كَمَا كانت أمة نوح تَعْبُدُ الأَصْنَامَ .

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الأَصْنَامَ مِنَ الحِجَارَةِ بِأَيدِيهِمْ ، ثُمَّ يَسْجُدُوْنَ لَهَا وَيَعْبُدُونَهَا .

وكانوا يسْأَلُونَهَا حَاجَاتِهِمْ وَيَدْعُوْنَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا .

وَكَانُوا عَلَى أَثَرِ أُمَّةِ نُوْحٍ .

وَكَانتْ عُقُولُهُمْ لاَ تَمْنَعُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ .

وَكَانت عقولهم لَا تَهْدِيهِمْ .

وَكَانُوا عُقَلَاءً فِي الدُّنْيَا أَغْبِيَاءَ فِي الدِّينِ .

(٣) عدوان عاد

وَصَارَتْ قُوَّةُ عَادٍ وَبَالًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ .

لأنهم لا يُؤْمِنُونَ بِالله ولا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ .

فماذا يَمنعهم مِنَ الظُّلْمِ ؟ وَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ ؟

وَلِمَاذَا لا يَظْلِمُونَ النَّاسَ ؟ وَهُمْ لا يَرَونَ فوقَهُمْ أحدًا ، وَلا يَخافُونَ حِسَابًا ولا عِقَابًا .

وَكانوا كَوُحُوش الغَابَةَ يَظْلِمُ الكبيرُ منهم الصَغِيرَ ، ويَأْكُلُ القَوِيُّ منهم الضَّعِيفَ .

وإذا غَضِبُوا كانوا كالفيلِ الْهَائج ، لا يلقى شيئًا إِلَّا قَتَلَهُ .

وكانوا إِذَا حَارَبُوا أَهْلَكُوا الحَرْثَ والنسلَ .

وإِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفسدوهَا ، وجَعَلوا أَعِزَّة أَهْلِها أذِلَّةً .

وكان الضعفاء يَخافُونَ شَرَّهُمْ ، ويفرون مِنْ ظُلْمِهِم .

وصَارَتْ قُوَّتُهُمْ وبالًا عليهم وعَلَى النَّاسِ .

وكذلك كل مَنْ لا يَخَافُ الله ولا يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ .

(٤) قصور عاد

وَكَانَ عَادٌ لاَ شُغْلَ لَهُمْ إِلَّا الأَكْلُ وَالشُّرْبُ ، واللهوُ وَاللعِبُ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَفْخَرُ عَلَى بَعْضٍ فِي بِنَاءِ الْقُصُورِ الْعَالِيةِ والبيوت الْواسِعَةِ .

وَكَانتْ أَمْوَالُهُمْ تَضيعُ فِي الماءِ والطين والحِجَارَةِ وَكانوا لا يَرَوْنَ مكانًا خَاليًا أَوْ أَرْضًا مُرْتَفِعَةً إلا بنوا عَليها قصرًا رفيعًا .

وكانوا يَبْنونَ بيوتًا كأَنَّما يسكنون فيها دَائِمًا ولا يَمُوتون أبدًا .

وكَانُوا يَبْنون قُصُورًا مِنْ غيْرِ حَاجَةٍ ، وَالنَّاسُ لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكلُونَ ويلبسونَ .

وَكَانَ الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ لَا يَجِدون بَيْتًا يَسْكُنونَ فيه ، وبيوتُ الأغْنِياءِ لا سَاكِنَ فِيها ، ومَنْ رَآهُمْ وَرَأَى قُصُورَهُمْ عَرَف أَنَّهُم لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةَ .

(٥) هود الرَّسول

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى عَادٍ رسولًا .

إِنَّ الله لَا يَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ ، إِنَّ الله لا يُحِبُّ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ .

وكان عادٌ لَا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ إِلَّا فِي الأَكْلِ والشربِ واللهْوِ ، واللَّعِبِ وَبِنَاءِ البيُوت .

وَقَدْ فَسَدَتْ عُقُولُهُم لأَنَّهُمْ لا يَسْتَعْمِلُونَها فِي الدينِ ، وَكَانَ عَادٌ عُقَلاء فِي الدُّنْيَا أَغْبِياءَ فِي الدِّينِ ، يعبدون الحِجَارةَ ولا يَعْقِلُونَ .

فَأَرادَ الله أَنْ يَكُونَ هَذا الرَّسُولُ مِنْ أَنْفُسِهِم ، يَعْرِفُونَهُ ويفهمون كَلامَهُ .

كَانَ هودٌ ذلكَ الرَّسُولَ ، وُلِدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ فِي عادٍ عَلى عَقْلٍ وصلاح .

(٦) دعوة هود

وَقَامَ هُودٌ فِي قَوْمِهِ يُدْعُو ويَقُولُ :

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] .

وَقَالَ : « يَا قَوْمِ كَيْفَ تعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ ولا تَعْبُدُون الَّذِي خَلَقَكُمْ ؟! » .

يا قوم هذه الحِجَارةُ الَّتِي نَحَتُّمُوهَا أَمْسِ كَيْفَ تَعْبُدُونَها الْيَوم إِنَّ الله خلقكم ورزقكم ، وبارَكَ لكم في الأَمْوالِ والأَوْلادِ والْحَرْثِ والنسلِ .

وَجَعَلَكُمْ خُلفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ، وَرَزَقَكمْ قُوَّةً في الْجِسمْ .

كَانَ مِنْ حقِ هَذِهِ النِّعَمِ أَنْ تَعْبُدُوا الله ولا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ .

إِنَّ هذَا الْكَلْبَ الَّذي تَرْمُونَ إِلَيْهِ بِعْظمٍ لا يُفارق بَيْنكُمْ ويَتْبَعُكُمْ كالظِّلِ .

أَفَرَأَيْتمْ كَلْبًا يَتْرُكُ سَيِّدَهُ ويَذَهْبُ إلى غيْرِهِ ؟

أورَأَيْتُمْ حَيَوَانًا يَعْبُدُ حجرًا ، أَورَأَيْتُمْ حَيوانًا يَسْجُدُ لِصَنَمٍ ؟

هل الإِنْسَانُ أَذَلُّ مِنَ الْحَيَوانِ ، أَمْ هو أَجَلُّ من الحَيَوانِ ؟

(٧) جواب القوم

كَانَ القَوْمُ في شُغْلٍ من الأَكْلِ وَالشُّرْبِ واللهْوِ وَاللَّعِب .

وَقَدْ رَضُوا بالحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بها .

ضَاقَ قَلْبُهُم بِكَلامِ هودٍ ، وقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

مَا يَقُولُ هُودٌ ؟ مَاذَا يُرِيدُ هُوُدُ نَحْنُ لا نَفْهَم كلامَهُ !

قَالوا : سَفِيهٌ أَوْ مَجْنونٌ .

وَلـمَّا دَعَاهُمْ هُودٌ مَرَّةً أُخْرَى ، قَالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ :

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٧] .

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨] .

(٨) حكمة هود

وَمَا زَالَ هُودٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ بِحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ .

قَالَ هُودٌ : يَا قَوْمِ أَنا أَخُوكُمْ وَصَدِيقُكُمْ بِالأَمْسِ !

أَلَا تَعْرِفُونني ؟

يَا إِخْوَاني ! لِمَاذَا تَخَافُونَنِي وَتَفِرُّونَ مِنِّي ، إِنِّي لا أَنْقُصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا .

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩] .

يَا قَوْمِ مَاذَا تخَافونَ إِنْ آمَنْتُمْ بالله ، والله لا تَفْقِدُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا إِذَا آمنتم بالله .

بَلْ يُبَارِكَ الله لكم في الرِّزْقِ ويَزِيدُ في قُوَّتِكُمْ .

وَيَا قوم لِمَاذَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْ رسَالَتي ؟ إِنَّ الله لا يكلم واحدًا واحدًا .

إِنَّ الله لا يُخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ : افْعَلْ كَذَا ، افْعَلْ كَذَا .

إِنَّ الله يُرْسِلُ إِلى كُلِّ قَوْمٍ رَجُلًا مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ .

وَقَدْ أَرْسَلَني إِلَيْكُمْ أُكَلِّمُكُمْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ :

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ ؟ [الأعراف:٦٣] .

(٩) إيمان هود

وَلَمْ تَجِدْ عَادٌ جَوَابًا ، وَمَا عَلِمُوا كَيْفَ يُجِيبونَ هُودًا .

وَلَكِنَّهُمْ قَالوا لـمَّا عَجَزوا : قَدْ غَضِبتْ عَلَيْـكَ آلِهَتُنـا فَأَصَـابَكَ مَـرَضٌ في عَقْلِكَ .

وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ وَبَالٌ من الآلِهَةِ .

قَالَ هُودٌ : إنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ حِجَارةٌ لَا تَنْفَعُ أَحَدًا وَلَا تَضّرُّ .

وَإِنَّ هَذِه الأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لا تتكلم ولا تَسْمَعُ ولا تَنْظُرُ .

إنَّ هَذِهِ الأَصْنَامَ لا تَملك خيرًا ولا شرًا .

ولا تَمْلِكُ لأحَدٍ نَفْعًا ولا ضرًّا .

وإنكم أَيْضًا لا تَمْلِكُونَ خَيْرًا ولا شرًا .

ولا تَمْلِكُونَ لي نَفْعًا وَلَا ضرًا .

إِنِّي لا أُوْمنُ بِآلِهَتِكُمْ وَلَا أَخَافُهُم .

« إِنِّي بَريءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ » .

وَلَا أَخافُكُمْ أَيْضًا « فَكِيدُوني جَمِيعًا » .

إِنِّي تَوَكَلْتُ عَلَى الله رَبِّي وَرَبِّكُمْ » .

كل شيءٍ تَحْتَ يَدِهِ ، وَلَا تَسْقطُ وَرَقةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ .

***

(١٠) عناد عاد

سَمِعتْ عَادٌ كلَّ ذَلِكَ ، وِلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا .

ضَاعتْ فِيهِمْ نَصِيحَةُ هُودٍ ، ضاعت فيهم حِكْمَةُ هُودٍ .

وَقَالُوا : يَا هُودُ مَا عِنْدَكَ دَلِيلٌ وَلَا بَيِّنَةٌ .

ولا تَتْرُكُ يا هودُ آلِهَتَنَا الْقَدِيمةَ لِقَوْلِكَ الْجَدِيدِ .

أَنْترُكُ الآلِهَةَ الَّتي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنَا لِقَوْلِ قَائِلٍ ؟

أَبَدًا ، أَبَدًا .

وَيَا هُودُ إِنَّكَ لا تُؤْمِنُ بِآلِهَتِنَا وَلَا تَخَافُهُمْ .

فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ بِإِلهِكَ وَلَا نَخَافُ عَذَابَهُ .

وَإِنَّنا نَسْمَعُكَ كَثيرًا تَذْكُرُ الْعَذَابَ ، فَأْيَنَ هُوَ يَا هُودُ ، وَمَتَى يَجِيءُ .

قَالَ هُودٌ : ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص:٧٠] .

قَالَتْ عادٌ : فَإِنّنا نَنْتَظِرُ ذَلِكَ الْعَذَابَ ، وَنَشْتَاقُ أَنْ نَرَاهُ .

وَتَعَجَّبَ هُودٌ مِنْ جَرَاءَتِهِمْ ، وَتَأَسَّفَ هُودٌ عَلَى سَفَاهَتِهِمْ .

(١١) العذاب

وَكَانَ عَادٌ يَنْتَظِرُونَ المطَرَ كلَّ يَوْمٍ وَيَنْظُرُونَ إِلَى السَّماءِ فَلَا يَرَوْنَ قِطْعَةَ سَحَابٍ .

وَكَانُوا في حَاجَةٍ إِلى المَطَرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَوْقٌ عَظِيمٌ إِلى المطَرِ .

ذَاتَ يَوْمٍ رَأَوْا سَحَابَةً تَأْتِي إِلَيْهِمْ ، فَفَرِحُوا جِدًا .

وَصَاحُوا : هَذِهِ سَحَابَةُ مَطَرٍ ، هَذِهِ سَحَابَةُ مَطَرٍ .

ورَقَصَ النَّاسُ فَرَحًا ، وَنَادى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا :

سَحَابَةُ مَطَرٍ ، سَحَابَةُ مَطَرٍ .

وَلَكِنَّ هُودًا فَهِمَ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ جَاءَ .

وَقَالَ لَهُمْ هُودٌ : لَيْسَ هذَا سَحَابَ رَحْمَةٍ ، بَلْ رِيْحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ هَبَّتْ ريحٌ شَدِيدَةٌ مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهَا ، وَمَا سَمِعَ النَّاسُ بِمِثْلِهَا .

وَهَبَّتْ الْعَاصِفَةُ تَقْلَعُ الأَشْجَارَ ، وَتَهْدِمُ الْبُيُوتَ ، وَتَحْمِلُ الدَّوابَّ وَتَرْمِيها إِلى مَكَانٍ بَعِيدٍ .

وَطَارَتْ رِمَالُ الصَّحَرَاءِ ، وأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَلَا يَرى الإِنْسَانُ شَيْئًا .

وَدَخَلَهُمُ الرُّعْبُ فَدَخَلوا بُيُوتَهُمْ وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا .

وَاعْتَنَقَ الأَطْفَالُ بِالأُمَّهَاتِ ، وَاعْتَنَقَ النَّاسُ بِالْجُدْرَانِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ الْحُجُراتِ .

الأَطْفَالُ يَبْكُونَ ، والنِّسَاءُ يَصِحْنَ ، والرِّجَالُ يَدْعُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ .

وَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ :

﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ .

كَانَ ذَلِكَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَامٍ .

وَمَاتَ الْقَوْمُ فَكَانُوا كَأَشْجَارِ النَّخِيلِ ، سَقَطَتْ عَلَى الأرض ، وَكَانَ مَنْظَرًا غَرِيبًا جِدًا ، النَّاسُ أَمْواتٌ يَأْكُلُهُمْ الطَّيْرُ ، والبُيُوتُ خَرَابٌ يَسْكُنُهَا الْبُوْمُ .

وَنَجَا هُودٌ وَالمؤْمِنُونَ بِإِيمَانِهِمْ ، وَهَلَكَتْ عَادٌ بِكُفْرِهِا وَعِنَادِهَا .

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود:٦٠] .

*****